للاندماج اليهودي في المجتمعات القديمة رفدت منذ بدء القـــرن التاسع عشر في أوربا بعوامل اقتصادية اجتماعية كان من نتيجتها ظهور نقمة شعبية ضد اليهود حالت دون اندماجهم المنتظر في المجتمعات الاوربية المتطورة . وقد وجد الرأسماليون اليهود في ذلك الوضع فرصة مواتية لتكتيل يهود اوربا، فعملوا على استغلال اوضاع اليهود وتضخيمها من جهة، وعملوا من جهة ثانية على الاستفادة من النزعة القومية التي كانت قد بلغت أوجها آنذاك، وقاموا بتعبئة اليهود الاوربيين بأوهام القومية اليهودية، وتغذية خيالهم بأحلام « الارض الموعودة » ، والتشوق الى صهيون ، وصرفهم عن النضال في مجتمعاتهم ومن خـــلال نضال الطبقات الواقعة تحت الاستغلال لتغيـــير واقعهـــم الاقتصادي والاجتماعي .

وبطبيعة الحال ساعدت الحركة الصهيونية على استمرار (المسألة اليهودية) لا على حلها ، بل انه في مراحل عديدة كان على القـــادة الصهيونيين أن يشجعوا الاضطهاد الاوربي لليهود وأن يعطوه أبعادا جديدة حتى يضطروا الجماهير اليهودية الى الهجرة الى فلسطين والتجاوب مع المخططات الاستعمارية . وكان الفكـــر الصهيوني البراغمي (النفعي) يعي ذلك منذ القديم ، وقد جـــاء في يوميات هرتزل : « سوف يصبح أعداء السامية أفضل أصدقائنا المقربين ، والبلدان المعادية للساميين من حلفائنا » .

ودعا هرتزل نفسه ـــ كما دعا وايزمن فيما بعد ـــ الى الاستفادة من تيار (اللاسامية) من أجل خلق الفردية اليهودية . ودلت ممارسات الصهيونيين خلال فترة الحكم النازي على أنهم لا يمانعون في اضطهاد اليهود أملا في ان يؤدي ذلك الى تعبئة يهودية شاملة باتجاه الهجرة . بل ظهرت مجددا دلائل تشير الى أن بعض زعمائهم كانوا ضالعين في عملية الاضطهاد من أجل أهدافهم السياسية(٢) .

[٢]

ومنذ ظهور الافكار الصهيونية قام مفكرون في أوربه وأميركا من خلال زوايا مختلفة ، باظهار بطلان الدعوى الصهيونية ، وكشف الاستغلال الاستعماري الصهيوني لاوضاع اليهود ، والتأكيد على أن الصهيونية لا تقدم حلا لما يسمى (بالمسألة اليهودية) بل تعقد مشكلة عدم الاندماج اليهودي وتزيدها خطورة . الا ان هناك شيئا جديدا طرأ بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ وهو بدء ظهور بوادر (اعادة نظر) عند الاسرائيليين واليهود فيما يتعلق بالمبدأ الصهيوني للدولة وبطبيعة الفكر الصهيوني . وعلى الرغم من أن هذا الامر لا يعني بالنسبة للموقف العربي اية نتائج عملية في المستقبل المنظور، فانه يعتبر ذا أهمية خاصة من الناحية النظرية لانه يتضمن فيما يتضمن تأكيدا جديدا على صحة الفهم العربي للقضية ، ذلك الفهم الذي أصر دائما على أن الصهيونية حركة استعمارية قامت على أساس استغلال (المسألة اليهودية) وليس على اساس ايجاد حل لها .

ولنستعرض أولا بعض المواقف الفكرية في أوربا وأميركا ، ثم نقرنها ببعض المواقف الجديدة عند يهود واسرائيليين . وبالطبع لسنا هنا في معرض استقصاء هذه الاراء ، انما نحاول تقديم عينات لها دلالاتها .

ـــ في منتصف القرن التاسع عشر اكد (كارل ماركس) الذي لفت نظره التضخيم المصطنع (للمسألة اليهودية) أن هذه المسألة من شأنها ان تنتهي بانتهاء النظام القائم على الاستغلال وان « التحرير اليهودي في معناه الاخير يقوم على تحرير الانسانية من اليهودية » . وان « التحرر الاجتماعي اليهودي انما هو تحرير المجتمع من اليهودية » . ذلك ان «المال هو اله اسرائيل المطماع» ويعتقد اليهود انه « لا ينبغي معه لاي اله ان